The South China Sea And U.S.-China Rivalry

Andrew Scobell

Political Science Quarterly,Vol. 133 , No. 2 , Academy Of Political Science . New York 2018

بحر الصين الجنوبي والتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين

تأليف : أندرو سكوبل

ترجمة : سُرى فؤاد عبدالكريم (*)

هل يمثل بحر الصين الجنوبي نقطة وميض رئيسية للتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين؟ تبحث هذه المقالة في بحر الصين الجنوبي من منظور جيو سياسي وتخلص إلى أنها نقطة اشتعال مهمة في التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، واعني بكلمة "التنافس" علاقة عدائية بين دولتين متورطتين في عداء طويل الأمد ، والمنافسة تتجلى في نزاعات متعددة وخلافات سياسية مستمرة والتهديد باستخدام القوة ، على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية والصين ليسا خصمين ، وهناك أبعاد ومظاهر كبيرة ومتعددة للتعاون بين واشنطن وبكين ، ووفقاً لهذا التعريف ، يوجد تنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، وأعني بعبارة "نقطة وميض" نزاعاً سياسياً طويل الأمد ، وهو "قريب منه .... الأعداء" و "يهددون بإشراك فاعلين أكثر قوة وبالتالي يزيد من احتمال ...... حرب أوسع"، بينما جادل باحث واحد على الأقل بأن "بحر الصين الجنوبي ليس نقطة وميض" ، ويؤكد هذا المقال أنه في العقد الثاني من القرن الـ 21 فأن هذا الجسم المائي سيلبي بالفعل المعايير ، على الرغم من أنه قد يكون نوعاً مختلفاً عن نقطة الوميض في شبه الجزيرة الكورية أو مضيق تايوان أو كشمير ، فهو يمثل (أي بحر الصين الجنوبي) نقطة ساخنة رئيسية.

اشتعلت نقطة الوميض هذه لعقود عند مستويات منخفضة من التحريض القابل للاشتعال تتخللها دورية من المواجهة ، ورفعت في بعض الأحيان إلى ومضات من المواجهة المسلحة ، أذ اندلعت واحدة من أخطر أزمات بحر الصين الجنوبي في مارس 2014 بين الصين والفلبين بسبب توماس شول الثاني ، ففي عدة مناسبات قامت سفن خفر السواحل الصينية بمضايقة سفن الأمداد الفلبينية التي حاولت تفريغ

(*) باحثة متخصصة في الشأن الصيني / ماجستير دراسات دولية – العراق .... leesura441@gmail.com

المؤن إلى موقع فلبيني متداعٍ على المياه الضحلة والتي تبعد حوالي 100 ميل غرب جزيرة بالاوان ، أذ وقع أخطر حادث في أواخر مارس عندما أقترب قاطع كبير لخفر السواحل التابع لجمهورية الصين الشعبية من السفينة الفلبينية بينما كانت الطائرات العسكرية الصينية والفلبينية والأمريكية تحلق على ارتفاعات منخفضة ، وكان من الممكن أن يتصاعد هذا الحادث بسهولة إلى صراع عسكري بين الصين والولايات المتحدة بسبب مزيج من الإجراءات العدوانية من قبل بكين ، والسلوك الذي يقبل المخاطرة من قبل واشنطن ومانيلا ، ووفقاً لأحد المحللين الأمريكيين "أول تحدي أمريكي..... هو معالجة خطر وقوع حادث في البحر يتصاعد إلى صراع كبير" .

أولاً ، يوضح هذا المقال كيف يقدم التحليل الجيوسياسي تفسيراً للتوترات المتزايدة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في بحر الصين الجنوبي ، ثانياً ، تبحث هذه المقالة في الجغرافيا السياسية للمنافسات بين القوى العظمى وتسلط الضوء على ميل هذه المنافسات إلى أن يكون لها أبعاد بحرية كبيرة ، ثالثاً ، تبحث هذه المقالة في الاستراتيجيات الجغرافية للصين والولايات المتحدة الأمريكية ، وأخيراً يستكشف المقال تداعيات هذا التحليل على التنافس بين الولايات المتحدة والصين ومستقبل نقطة الاشتعال في بحر الصين الجنوبي .

الجيوبولتيك وبحر الصين الجنوبي

لماذا أصبح بحر الصين الجنوبي قضية خلافية في العلاقات الأمريكية – الصينية ؟ **أولاً** ، لدى الصين مصالح متنامية في بحر الصين الجنوبي ، ويزداد نفوذ بكين الاقتصادي وقوتها العسكرية من القدرة على تعزيز مطالبها في المنطقة من موقع قوة أكبر بكثير في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية ودول أخرى ، ومن ثم ، أصبحت بكين أكثر حزماً في بحر الصين الجنوبي وأماكن أخرى في السنوات الأخيرة .

مع ذلك ، توقع عدد قليل من العلماء أن يصبح بحر الصين الجنوبي نقطة محورية للتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، هذا لأنه في ظاهر الأمر ، لا ينبغي أن يكون بحر الصين الجنوبي بنفس أهمية مضيق تايوان أو شبه الجزيرة الكورية .

لطالما أبدت الصين تفضيلها لنهج تدريجي منخفض المستوى تجاه بحر الصين الجنوبي ، من خلال الانخراط مع دول جنوب شرق آسيا "لاختبار المياه" - إذا جاز التعبير – لتعزيز مطالبها الإقليمية في البحر ، وعلى مدى عقود ، ساهم هذا النهج في نزع سلاح المطالبين الأخرين والولايات المتحدة ، إلى جانب ذلك تبنت الصين استراتيجية لمتابعة أنشطة "المنطقة الرمادية" ، وبالتالي تسعى إلى تغيير الحقائق على الأرض – أو

بشكل أكثر دقة الحقائق في المياه – من خلال بناء منشآت مثل الأرصفة والممرات وبناء الجزر الاصطناعية ، في الوقت نفسه صعدت الصين من مضايقاتها وترهيبها لقوارب الصيد وسفن الإنقاذ البحري لدول أخرى ، لكن منذ عام 2013 استثمرت الصين المزيد من الوقت والطاقة والموارد والمكانة في بحر الصين الجنوبي .

ثانياً ، قررت واشنطن أن بحر الصين الجنوبي له أولوية عالية للمصالح البحرية الأمريكية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ ، فضلاً عن كونه رمزاً مهماً لالتزام الولايات المتحدة الأمريكية بمبادئ أوسع للقانون الدولي ، ومن الناحية العملية تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى منع الصين من احتلال الشعاب المرجانية من جانب واحد ، وبناء جزر اصطناعية ، وتأكيد السيادة والهيمنة على مساحات شاسعة مما تعتبره واشنطن جزءاً من المشاعات العالمية ، ومن حيث المبدأ ، فأن الولايات المتحدة الأمريكية مصرة على الحفاظ على حرية البحار وحرية الملاحة والحل السلمي للنزاعات الإقليمية البحرية حول العالم ؛ ونتيجة لذلك أستمرت الولايات المتحدة في اتباع نهج صارم وثابت تجاه بحر الصين الجنوبي ، على الرغم من أنه يبدو غير فعال إلى حد كبير في تغيير السلوك الصيني .

يقدم التحليل الجيوسياسي (الذي يأخذ في الاعتبار تأثير الجغرافيا على السياسة الدولية) التفسير الأكثر دقة ، عند حساب موازين القوى وتقييم المصالح الوطنية ، فلا ينبغي تجاهل القرب الجغرافي للخصوم والحلفاء وكذلك مواقع السمات الطبوغرافية والبحرية ذات الأهمية الاستراتيجية الحاسمة ، بما في ذلك الصخور الصغيرة غير المأهولة والمياه الضحلة ، وتسلط الجغرافية السياسية الضوء على الأهمية الجيوستراتيجية الهائلة للمناطق الساحلية ما أطلق عليه نيكولاس سبيكمان مناطق "حافة العالم"، ويتم التأكيد على مركزية هذه المناطق البحرية من خلال الأهمية الحاسمة للتجارة الدولية المنقولة بحراً : أذ يتم نقل 90% من التجارة العالمية عن طريق السفن، وينتهي ما يقارب من نصف هذه التجارة إما على حافة بحر الصين الجنوبي أو يمر عبره .

وبناءً على ذلك ، تصف أحد التحليلات بحر الصين الجنوبي بأنه "نقطة ارتكاز التجارة العالمية وبوتقة الصراع" ، وهذا يسلط الضوء بشكل أكبر على السبب الذي جعل الولايات المتحدة والصين تنظران إلى بحر الصين الجنوبي باعتباره مركز الصدارة في تنافسهما البحري الجيوسياسي .

التنافس الجيوسياسي بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين

لم تواجه الولايات المتحدة والصين بعضهما البعض في ميدان المعركة منذ عام 1953 ، ومنذ العام 1972 تتمتع كلا منهما بعلاقات ودية وتعاونية بشكل عام ، إلى جانب التوسع الهائل في الاتصالات الاقتصادية والدبلوماسية وكذلك التبادلات العسكرية والتفاعلات بين الناس ، ومع ذلك فقد ظهرت العديد من الخلافات جنباً إلى جنب مع خلافات سياسية ، لاسيما بعد انتهاء الحرب الباردة في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي ، أذ حدثت سلسلة من الأزمات السياسية والعسكرية بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، أثار كل منهما شبح التصعيد لاستخدام القوة العسكرية ، مع ذلك يواصل الطرفين التعاون في العديد من القضايا وعادة ما تحافظان على علاقة عمل ودية ، ومع ذلك يسود انعدام الثقة والعداء المتبادلين في العلاقات الثنائية ، وتنظر واشنطن وبكين إلى بعضهما البعض كمنافسين أو متنافسين .

أن التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في منطقة آسيا والمحيط الهادئ مؤطر بالجغرافيا ، أذ جادل روبرت روس بأن الصين قوة قارية في الغالب والولايات المتحدة الأمريكية قوة بحرية بشكل أساسي ، كما يؤكد على أن التنافس بينهما أكثر استقراراً من المنافسة الجيوسياسية الممتدة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، والتي شملت مكونات قارية وبحرية مهمة ، وبالتالي يؤكد روس أن "جغرافيا السلام" كان من المرجح أن تسود ، ووفقاً لروس "يتميز الهيكل الإقليمي ثنائي القطب بعد الحرب الباردة بالهيمنة الصينية على البر الرئيسي لشرق آسيا وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على بحر شرق آسيا ، وخلال العقدين الأول والثاني من القرن الـ 21 تصاعدت حدة التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في غرب المحيط الهادئ مع ظهور بحر الصين الجنوبي كنقطة اشتعال مركزية ، فهناك جغرافيا صراع ناشئة لأن الصين أصبحت قوة بحرية رئيسية ، ويلاحظ روس أن "الصين لا يمكنها زعزعة استقرار [الهيكل ثنائي القطبية] من خلال تحدي التفوق البحري للولايات المتحدة ، وخلال عهد الرئيس شي جين بينغ ركزت الصين الكثير من الموارد على توسيع القدرات البحرية ، ليشتد التنافس لأن التوسع الصيني يمثل تحدياً للهيمنة الأمريكية العالمية في حقبة ما بعد الحرب الباردة .

أذن ، لماذا فاجأت نقطة الوميض في بحر الصين الجنوبي الكثيرين ، بما في ذلك أتباع الجيوستراتيجية ؟ أولاً ، هناك نزعة متأصلة في التفكير القاري تنبثق من كتابات السير هالفورد ماكيندر ، وكذلك يؤكد علماء مثل زبنغيو بريجينسكي على كتلة اليابسة الأوروبية الآسيوية ويركزون على الأهمية الجيوستراتيجية لآسيا الوسطى والقوقاز (وفقاً لأطروحة "قلب الأرض" لماكندر)، وعلى الرغم من أن الحرب الباردة كان لها

بعداً بحرياً ، لكنها كانت عالمية النطاق ومشتتة جغرافياً ، وكان التركيز الأكثر وضوحاً للقوى المعارضة في سهل أوروبا الوسطى . علاوة على ذلك ، فأن الحروب الساخنة السابقة لاسيما الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت عدائية وأكثر الحروب وحشية شهدتها القارية الأوروبية ، الأمر الذي خلق قيود خلال الحرب الباردة وكان من الصعب على الولايات المتحدة لأمريكية كسرها ، وبعد الحرب الباردة كافح البنتاغون لفهم خارطة العالم في ظل غياب الاتحاد السوفيتي واختفاء شبح الحرب البرية على الولايات المتحدة الأمريكية والقارة الأوروبية ، وعلى الرغم من مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد بعمليات عسكرية ، ألا أنها لم تكن في أوروبا ، مع ذلك فقد أثبتت هذه العمليات أن التوظيف الموسع للقوة العسكرية في أفغانستان والعراق كانت مكلفة وتفتقر إلى استراتيجية خروج منظمة .

في غضون ذلك ، ركزت الصين على تحديث قواتها العسكرية وشبه العسكرية، مع إيلاء اهتمام خاص للقوات البحرية ، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة لم تتجاهل قواتها البحرية ، ألا أن السرعة التي بدأت بها قدرات الجيش الصيني بالاقتراب من قدرات الجيش الأمريكية كانت هائلة ، كما أن مقدمة وثيقة البنتاغون الأمريكية لـ "منع الوصول/ أنكار المنطقة" هي شهادة اعتراف لواشنطن بواقع استراتيجي جديد في غرب المحيط الهادئ ، وأشارت إلى القدرة المتزايدة للجيش الصيني التي تمثل تهديداً للأصول العسكرية الأمريكية التي تعمل في غرب المحيط الهادئ ، فضلاً عن ذلك تحدث البنتاغون مؤخراً عن الحاجة إلى اتباع "استراتيجية تعويض ثالث" للتعامل مع التحديات الهائلة التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية من قبل مجموعة متنوعة من الأعداء المحتملين ذوي القدرات المتزايدة ، وعلى غرار التكرارات السابقة لـ "التعويضات"، فأن تركيز استراتيجية التعويض الثالث يستفيد من المزايا التكنولوجية للولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة القدرات العسكرية التقليدية المتزايدة والتي يتم تطويرها ونشرها بأعداد كبيرة من قبل البلدان الأخرى لاسيما الصين ، وعلى عكس "تعويضات" الخمسينات والسبعينات لا يوجد خصم واحد ، والحل لا ينطوي على امتلاك المزيد من الأسلحة النووية، على الرغم من أن الصين مصدر قلق للولايات المتحدة الأمريكية ، ألا أنها ليست التحدي الوحيد الذي يواجه واشنطن، وما تؤكده استراتيجية "التعويضات" هو التقدم التكنولوجي في المجالات البحرية والجوية.

، وقد لفت أحد المفكرين الاستراتيجيين الانتباه إلى المجال البحري بسلسلة من المؤلفات عن الجغرافيا السياسية والمحيط الهندي ومؤخراً عن بحر الصين الجنوبي وهو "روبرت كابلان" أحد تلامذة سبيكمان ، وهو على عكس ماكندر الذي شدد على أهمية "الرميلاند – حافة الأرض" والنظام المحيطي للعالم في الجغرافيا السياسية ، في حين أن العولمة ليست ظاهرة جديدة ، فقد تسارعت وتيرة ونطاق هذه العملية

بعيدة المدى ، على الرغم من أن محيطات العالم لعبت منذ فترة طويلة دوراً رئيسياً في هذه العملية (بما في ذلك استكشافات البحارة مثل كريستوفر كولومبوس وفاسكو دا جاما) ألا أن أهمية المحيطات لم تزد إلا نتيجة لتوسع حجم النقل التجاري عبر الممرات البحرية ، وهذا يؤكد أهمية بحر الصين الجنوبي ، الذي تتقاطع فيه بعض ممرات الشحن الأكثر أزدحاماً في العالم .

السبب الثاني الذي جعل بحر الصين الجنوبي نقطة وميض مفاجأة هو أن بحر الصين الجنوبي يبدو بعيداً جغرافياً عن القوى العظمى ، باختصار يبدو البحر هامشياً لمراكز الجاذبية الجيوسياسية المعترف بها ، وغالباً ما يتم إغفال حقيقة أن التقدم التكنولوجي في الأسلحة قد قلص المسافات بشكل كبير ، فقد تحسنت الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز بشكل كبير من حيث المدى والدقة .

علاوة على ذلك لا يبدو أن بحر الصين الجنوبي ينطوي على مطالبات إقليمية كبيرة ، فبألقاء نظرة سريعة على مواقع القوى الكبرى والخصوم المحتملين والمالكين للأسلحة سنرى أن نقاط الاشتعال الخطيرة في آسيا الباسيفيك تتركز في شمال شرق آسيا ، فالجزيرة الكورية تشهد توتراً خطيراً للغاية ، أذ يوجد خصمان يمتلكان السلاح ، علاوة على امتلاك كوريا الشمالية لترسانة نووية موسعة مع أنظمة توصيل محسنة ، أضف إلى ذلك تورط الولايات المتحدة (كحليف لكوريا الجنوبية) بأصول عسكرية كبيرة في شبه الجزيرة الكورية أكثر مما يمكن إدخاله ، والصين (كحليف لكوريا الشمالية) والنتيجة هي وضع متقلب ، فضلاً عن وجود توترات بين الصين واليابان لاسيما فيما يتعلق بجزيرة سينكاكو/ دياويو ، ونقطة أخرى تتمثل بمضيق تايوان ، الأمر الذي يمثل شبه الجزيرة الكورية بأنها موقع لحرب أهلية لم يتم حلها ، وأن كان التوتر أقل بكثير من السنوات السابقة .

السبب الثالث هو أن بحر الصين الجنوبي لا يبدو أنه يمثل مشكلة عالية المخاطر في التنافس بين الطرفين ، وفي الواقع كان يبدو أن تصعيد التوترات في بحر الصين الجنوبي جاء من العدم ، وفقاً لبريجنسكي فأن بحر الصين الجنوبي لم يشكل سوى خطر ينذر بنشوب صراع بين الصين والمطالبين في جنوب شرق آسيا ، ولم يرى أي مؤشر لحدوث مواجهة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين حول بحر الصين الجنوبي ، فضلاً عن ذلك أعتبر روس في كتابة عام 1999 أن سطع الماء "أقل نقاط الوميض أهمية" مقارنة بشبه الجزيرة الكورية ومضيق تايوان .

يبدو أن أواخر العقد الأول من القرن الـ 21 كانت نقطة تحول في بحر الصين الجنوبي ؛ بسبب التقاء الأحداث ، أذ ضربت الأزمة المالية العالمية لعام 2008 الولايات المتحدة الأمريكية ، وتركت الصين سالمة

نسبياً ، لذلك كانت إدارة باراك أوباما المنتخبة حديثاً (2009) منشغلة بمعالجة التداعيات الاقتصادية ، وأقل اهتماماً إلى حد ما بالمنطقة الآسيوية ، وفي مارس عندما حققت بكين في نوايا الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مضايقة USNS Impeccable في بحر الصين الجنوبي ، لم يكن يبدو أن واشنطن تضغط بقوة ، وكانت أكثر استيعاباً للمصالح الصينية ، وفي مايو قدمت الصين وثائق تدعم مطالباتها الواسعة في بحر الصين الجنوبي إلى الأمم المتحدة ، وخلال القمة الأمريكية الصينية التي عقدت في نوفمبر وافقت إدارة أوباما على إعلان مشترك ينص على أن كل دولة يجب أن تحترم "المصالح الأساسية" للطرف الأخر ، وفي الشهر التالي ، في القمة العالمية المتعلقة بتغير المناخ التي عقدت في كوبنهاغن/ الدنمارك ، بدت الصين عازمة على تخريب المبادرات الأمريكية وإحراج الرئيس باراك أوباما .

وبحلول منتصف العام 2010 تيقنت واشنطن أن نزعة بكين المتزايدة في بحر الصين الجنوبي وأماكن أخرى تتطلب رداً أمريكياً أكثر حزماً ، وفسرت الصين تصرفات إدارة أوباما الأكثر صرامة على أنها تحول كامل لرد فعلها ، فقد حدثت مواجهة دبلوماسية في الاجتماع الوزاري للمنتدى الإقليمي لرابط دول جنوب شرق أسيا (ASEAN) في هانوي/فيتنام ، الذي عقد في يوليو ، عندما أوضحت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه بحر الصين الجنوبي وانتقدت بشكل ضمني الإجراءات الصينية ، ورد وزير الخارجية الصيني "يانغ جيتشي" بقوة ساعياً إلى تخويف الدول الأصغر في جنوب شرق أسيا .

لماذا يهم بحر الصين الجنوبي

أن الولايات المتحدة الأمريكية والصين متنافسان جيوسياسيان ، فهناك عناصر للتعاون ، فضلاً عن وجود عناصر للتنافس (التي تميز العلاقات بين الدولتين) فهما معرضتان لخطر الانجرار إلى حرب غير مقصودة ، فعندما يعيد العلماء النظر في الصراعات الملحمية التي حدثت بين القوى العظمى عبر التاريخ يرون أن أكثر ما يمكن تذكره هو المعارك البرية بين الجيوش المتصارعة ، وبذلك فأن اللعبة البرية هي الأكثر أهمية ، وغالباً ما يتم التغاضي عن العنصر البحري ، في حين أن المعركة الأكثر شهرة في الحروب النابليونية هي بلا شك واترلو (1815) ، كما حدثت مواجهة بحرية لا تقل أهمية قبالة رأس ترافالغار (1805) بالقرب من مضيق جبل طارق حيث يلتقي المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط ، في حين أن المعركة الأكثر دموية في الحرب العالمية الأولى هي معركة السوم (1916) ، وربما كانت المعركة الأكثر وحشية في الحرب العالمية الثانية هي معركة ستالينجراد (1942- 1943) ، فهذه الحروب تضمنت معارك بحرية مهمة إلى جانت

المعارك البرية ، فالمعركة البحرية الأولى هي معركة جوتلاند (1916) ، والثانية هي المعركة الممتدة من أجل الأطلسي (1939 – 1945)، ومعركة ميدواي الأكثر تركيزاً (1942) في المحيط الهادئ.

في الواقع ، تضمنت العديد من المنافسات التاريخية في العالم أبعاداً بحرية مهمة ، وكان التنافس الأنجلو – ألماني أبرزها ، والذي سجله علماء مثل بول كينيدي ، وتصاعدت حدة التنافس في النهاية ليتحول إلى حرب (الحرب العالمية الأولى) أو على الأقل مهد لها .

ظهرت العديد من المنافسات البحرية في بحر الصين الجنوبي وتحديداً خلال العقد الثاني من القرن الـ 21 ، كان أبرزها ظهور بحر الصين كنقطة محورية للمواجهة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، فضلاً عن وجود منافسات أخرى متداخلة تزيد من أهمية البحر ، فالصين تشارك في منافسات مع الهند واليابان وتايوان ، فضلاً عن الدول المطالبة بحوقها في بحر الصين الجنوبي (أنظر الشكل رقم 1) ، بالنسبة للهند يبدو أن بحر الصين الجنوبي مهم للغاية ، على الرغم من أنه ثانوي مقارنة بالمحيط الهندي ، ومحفز للتوترات المتزايدة بين بكين واليابان ، وبالنسبة لليابان ، يتمتع بحر الصين الجنوبي بأهمية كبيره ، لكنه لا يزال أقل أهمية من التنافس بينهما في بحر الصين الشرقي ، في الوقت الذي يمتد فيه التنافس بين الصين وتايوان إلى ما وراء مضيق تايوان إلى بحر الصين الجنوبي ، ويشير التأثير التراكمي لهذه التنافسات إلى أن بحر الصين الجنوبي ربما يكون "أكثر الفضاءات البحرية المتنازع عليه في العالم" .

(الشكل رقم 1) المنافسات المعاصرة في آسيا والمحيط الهادئ وبحر الصين الجنوبي (SCS)

المتنافسين	بحر الصين الجنوبي	الارتباط الجيوستر اتيجي
الولايات المتحدة الأمريكية – الصين	مركزي	سلسلة الجزر الأولى
الصين – اليابان	ثانوي	التركيز الأساسي في بحر الصين الشرقي
الصين – الهند	ثانوي	مجموعة فرعية من "المحيطين الهندي والهادئ"(لاسيما المحيط الهندي)
الصين – تايوان	ثانوي	مجموعة فرعية من التنافس عبر المضيق بين الصين وتايوان
دول جنوب شرق آسيا	أساسي	البحر الأبيض المتوسط في أسيا

الأهداف الجيوستراتيجية للصين

أذاً ، لماذا أصبح بحر الصين الجنوبي بؤرة الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ؟ الجواب واضح : لأن الصين تهتم ببحر الصين الجنوبي ، لكن لماذا تهتم الصين بهذا القدر ؟ على الرغم من أن بكين لديها نزاعات حدودية برية كبيرة تم حل العديد منها بالطرق السلمية (المفاوضات) إلا أن النزاعات البحرية ، لاسيما في بحر الصين الجنوبي ازدادت أهمية بمرور الوقت ، فضلاً عن ذلك أولت واشنطن أيضاً أهمية كبيرة لبحر الصين الجنوبي في السنوات الأخيرة ، لاسيما بعد أن أصبحت الصين قوة بحرية رئيسية في منطقة آسيا الباسيفيك (على الرغم من أن بكين لديها تطلعات عالمية) ، لذلك اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى أخذ ذلك في الاعتبار.

ورفعت الصين قضية بحر الصين الجنوبي إلى مرتبة قضية "ذات مصلحة وطنية حيوية" ، وأضحت مسألة مبدأ ، ومركز للشرعية السياسية المحلية للحزب الشيوعي الصيني ، فبالنسبة لبكين يمثل بحر الصين الجنوبي قلب المطالبات البحرية التاريخية التي لا يمكن انتهاكها ، ويمثل أيضاً مبدأ السلامة الإقليمية والوحدة الوطنية ، وأصبحت نقطة الصفر للتدخل السافر في الشؤون الداخلية للصين من قبل منافسها الأقوى .... باختصار ، بالنسبة للقادة الصينيين ، برز البحر كنقطة اشتعال رئيسية ونزاع أساسي في التنافس الجيوستراتيجي بين بكين وواشنطن ، بالتالي ، لا مجال للتسوية في أذهان الحكام الشيوعيين في الصين ، ففي مايو 2017 ورد أن الرئيس شي جين بينغ قال لرئيس الفلبين رودريغو دوتيرتي "لا نريد الشجار معك ...... لكن أذا فرضت الأمر ، فسنخوض الحرب" .

ومع احتضان الصين للاستثمار الأجنبي وتوسيع التجارة الدولية في عصر الإصلاح بعد عام 1979 ، بدأت بكين إيلاء أهمية أكبر للمسائل البحرية ، أذ تبنت رؤية بحرية استراتيجية كبرى (تُنسب إلى الأدميرال الراحل ليو هواكينغ 1916-2011) في أوائل الثمانينيات تتمثل بتوسيع الصين لنفوذها البحري تدريجياً إلى المحيط الهادئ ، يرافقه توسع تدريجي للقوة البحرية الصينية .

في المرحلة الأولى بحلول عام 2000 ، كان على بحرية جيش التحرير الشعبي توسيع منطقة عملياتها في البحار القريبة (بحر الصين الجنوبي ، بحر الصين الشرقي ، والبحر الأصفر) حتى تصل إلى ما يسمى بسلسلة الجزر الأولى (جزر الكوريل ، اليابان ، نهر ريوكيس ، تايوان ، الفلبين ، بورنيو ، وناتونا بيسار) ، وسعت البحرية التابعة لجيش التحرير الشعبي الصيني مسؤولياتها إلى ما وراء المياه الساحلية للصين لتشمل "الشاطئ القريب" أو الساحل (جينان) و "البحار القريبة" (جينهاي) .

في المرحلة الثانية ، بحلول عام 2020 تهدف القوات البحرية لجيش التحرير الشعبي الوصول إلى ما يسمى بسلسلة الجزر الثانية (بونينز ، ماريانا وكارولين) ، وفي المرحلة الثالثة بحلول عام 2050، ستصبح الصين قوة بحرية عالمية وبالتالي ستكون على قدم المساواة مع البحرية الأمريكية ، في الواقع تبذل البحرية الصينية جهودها لمواكبة هذا الجدول الزمني .

علاوة على ذلك تبنى العديد من استراتيجيي جيش التحرير الشعبي الصيني نظرية الاستراتيجي الأمريكي البحري ألفريد ماهان ، الذي يؤكد على الأهمية المركزية للقوة البحرية للأمة ، لاسيما الصلة بين التوسع البحري للدولة والتنمية الاقتصادية والتجارة البحرية ، كما لاحظ المفكرون البحريون الصينيون أن "جزيرة هاينان أصبحت مركزاً بحرياً للصين" لذلك شيد الجيش الصيني قاعدة بحرية حديثة على الجانب الجنوبي من الجزيرة في يولين والتي تسمح للغواصات بالدخول دون أن تطفو على السطح في مرأى من الجميع وبالتالي تكون مرئية للأقمار الصناعية ، ومن المحتمل أن تشمل هذه المنصات الموجودة تحت السطح على صواريخ بالستية تحمل غواصات (SSBNs) والتي تزداد أهميةً ، أذ تعمل الصين على إكمال صواريخ نووية يمكن أطلاقها بحرياً ، فجيش التحرير الشعبي الصيني يرى بحر الصين الجنوبي على أنه "معقل بحري أمن نسبياً يمكن من خلاله نشر الصواريخ الباليستية بأمان في وقت السلم وإطلاقها في وقت الحرب" .

ولكن لماذا ظهر بحر الصين الجنوبي كنقطة اشتعال بحرية رئيسية لبكين ، وماذا حدث لبؤرة التوتر في تايوان ؟ هناك ثلاثة اتجاهات تفسر ذلك ، **الأول** هو أن الصين تطورت من كونها قوة قارية بحتة في منتصف القرن العشرين إلى قوة بحرية بحلول مطلع القرن الحادي والعشرين ، الاتجاه **الثاني** هو أن مركز الثقل الاقتصادي الصيني قد تحول جنوباً من شمال شرق الصين (دونغبي ، منشوريا) إلى رقعة من الساحل الشرقي للصين تمتد من تيانجين إلى شنغهاي إلى فوتشو وإلى الجنوب إلى هونغ كونغ وقوانغتشو وهايكو وشواطئ سانيا ، **الثالث** أصبحت المياه في مضيق تايوان أكثر هدوءً مع انتخاب المرشح الرئاسي للحزب القومي ،ماينج جيو في عام 2008 المؤيد للوحدة ، فخلال رئاسته الممتدة بين عامي 2008 – 2016 تحسنت العلاقات بين الصين وتايوان بشكل كبير .

خلال العقود الأربعة الأولى من وجود جمهورية الصين الشعبية ، كانت نقطة الاشتعال قارية ، ففي أوائل الخمسينيات من القرن الماضي كانت نقطة الاشتعال الرئيسية في المنطقة هي شبه الجزيرة الكورية (كان مضيق تايوان نقطة ثانوية) ، وفي الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي ، كانت

نقطة الاشتعال الأولى للصين هي حدودها البرية الشاسعة مع الاتحاد السوفيتي ، وكانت نقطة الاشتعال الثانوية هي حدودها البرية الجنوبية مع فيتنام ، وبحلول منتصف التسعينيات أصبحت أبرز نقاط الاشتعال بالنسبة للصين هي النقاط البحرية : أذ كان مضيق تايوان مصدر قلق أساسي ، وكان بحر الصين الشرقي نقطة ثانوية ، فقد حدث هذا التحول عندما حلت بكين معظم نزاعاتها الحدودية البرية مع العواصم المجاورة ، مع استثناء ملحوظ لنيودلهي ، أذ حدثت ذروة التوترات التي أعقبت الحرب الباردة في مضيق تايوان ، لاسيما خلال أزمة 1995 – 1996 ، بينما كانت كوريا وتايوان بؤرة التوتر في العقد الأول من القرن الـ 21 .

وبحلول عام 2010 بدا أن بحر الصين الجنوبي قد حل محل مضيق تايوان باعتباره أخطر نقطة اشتعال بحرية في الصين ، تزامن هذا التغيير مع تحول مركز الثقل الاقتصادي الصيني إلى الجنوب (المتمثل بزيادة التجارة البحرية الصينية مع جنوب شرق آسيا وما وراءهما إلى أوروبا والشرق الأوسط) ، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتجاهل التفاعل الاقتصادي البري المتزايد للصين مع دول جنوب شرق آسيا من خلال الطريق البري الرئيسي من مقاطعة يونان ومدينة كونمنغ ، والسكك الحديدية والمحطة الجوية ، فضلاً عن ذلك تبددت التوترات بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين بشأن تايوان وحل محلها بحر الصين الجنوبي ، أذ أصبح هذا البحر نقطة محورية للشكوك المتبادلة والتنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ، لأنه جاء ليبلور النزاعات الإقليمية الملموسة والمبادئ المجردة الأوسع في السياق الأوسع للتنافس الجيوسياسي.

كما أن نقطة الاشتعال الكورية لها أبعاد قارية وبحرية ، فاستمرار عدم الاستقرار في شبه الجزيرة ينذر بخطر بالنسبة للصين ليس بسبب الحدود البرية المشتركة مع كوريا الشمالية ولكن أيضاً بسبب التجارة البحرية الكبيرة مع كوريا الجنوبية واليابان ، أذ تصاعدت التوترات في كوريا لاسيما بعد عام 2010 نتيجة أحراز البرامج النووية والصاروخية لكوريا الشمالية تقدماً كبيراً ، بالتالي تدهورت العلاقات بين بكين وبيونغ يانغ بشكل ملحوظ ، ومن ثم فأن بحر الصين الجنوبي ليس نقطة الاشتعال الوحيدة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، على الرغم من أن الصين كانت هادئة بشكل واضح في خطابها وضبط أفعالها تجاه كوريا الشمالية ، ألا أنها كانت أكثر تشدداً وحزماً عندما يتعلق الأمر ببحر الصين الجنوبي .

تبنى القادة الصينيون وجهة نظر جيوستراتيجية تتمثل بأدراك بيئتهم من منظور أربعة دوائر متحدة المركز ، الحلقة الأولى حسب رؤيتهم تبدأ من الشارع الخارجي المطل على نافذة مكتبهم (الوضع الأمني الداخلي

في الصين) والذي يشمل جميع الأراضي الواقعة داخل حدود جمهورية الصين الشعبية التي تسيطر عليها بكين أو تطالب بها ، بينما تتألف الحلقة الأمنية الثانية من المحيط المباشر لجمهورية الصين الشعبية (وهي منطقة تضم 14 دولة مجاورة خاضت الصين حروباً معها خلال الـ75 عاماً الماضية ، أما الحلقة الثالثة فهي تضم آسيا والمحيط الهادئ بأكملها ، بينما تمتد الحلقة الرابعة والأبعد إلى العالم الخارجي ، وفي هذا المفهوم الجيوستراتيجي نرى أن بحر الصين الجنوبي مهم بشكل كبير لأنه يعتبر جزءاً من الحلقات الأولى والثانية والثالثة ، فضلاً عن كونه نقطة انطلاق مهمة في الحلقة الرابعة ، فلا يمكن الزعم بأن الجزء الأكبر من هذا البحر هو من الأراضي الصينية أو المياه الإقليمية أو المنطقة الاقتصادية الخالصة فحسب ، بل هو أيضاً عنصر حاسم في محيط الصين ، ونظام فرعي مهم في جوار الصين ، وممر مهم بالنسبة للعالم ، وبالتالي ، وفقاً لأحد العلماء الصينيين البارزين فأن نزاع بحر الصين الجنوبي "ينطوي على مصالح سياسية وأمنية واقتصادية مهمة" .

سادت حالة من عدم اليقين حول ما إذا كانت الصين قد حددت بحر الصين الجنوبي على أنه "مصلحة أساسية" . في السنوات الأخيرة بدأت بكين في استخدام هذا المصطلح للإشارة إلى مجموعة من قضايا الأمن القومي ذات الأولوية العالية ، لاسيما المسائل الإقليمية الحساسة مثل تايوان والتبت وشينجيانغ ، ويؤكد البعض أن جمهورية الصين الشعبية صنفت بحر الصين الجنوبي على أنه "مصلحة أساسية" ، بينما ورد أن المسؤولين الصينيين استخدموا المصطلح في مناقشات مغلقة مع نظرائهم الأمريكيين ، إلا أن العبارة لم تظهر بعد في بيان عام أو وثيقة رسمية ، لماذا ؟ على الرغم من أنه لا يوجد شك في أن بحر الصين الجنوبي هو أحد أهم قضايا بكين ، لكن على ما يبدو أن القادة الصينيين خلصوا إلى أنه ليس لديهم ما يكسبونه من جعل هذا التصنيف رسمياً ، ومن المرجح أن يؤدي ذلك إلى تصعيد التوترات مع الطالبين الأخرين والولايات المتحدة الأمريكية ؛ لأنه لن يؤدي إلا إلى تعزيز موقف الصين بشأن مطالباتها في بحر الصين الجنوبي باعتبارها غير قابلة للتفاوض و"متطرفة" ، فضلاً عن ذلك فأنه من شبه المؤكد أنه سيرفع من أهمية البحر في عيون الشعب الصيني ، وبالتالي يزيد الضغط على قادة جمهورية الصين الشعبية .

قفزة الصين الشعبية إلى الخارج

لم يتم التأكيد على أهمية بحر الصين الجنوبي إلا من خلال المبادرات السياسية الأخيرة ، ففي عام 2013 أطلق الرئيس شي جين بينغ علناً بضجة كبيرة برنامج "حزام واحد ، طريق واحد" ، أذ أعلن عن المبادرة في خطابين رفيعي المستوى أحدهما في آسيا الوسطى والأخر في جنوب شرق آسيا ، وهناك عنصران رئيسيان

للمبادرة ، أحدهما قاري وأخر بحري ، فقد أقترح شي تطوير "حزام بري" يتمثل بالطرق والسكك الحديدية وخطوط الأنابيب من الصين إلى جنوب شرق آسيا وجنوب آسيا وآسيا الوسطى ، ويمتد إلى أوربا والشرق الأوسط ، كما أقترح تطوير "طريق الحرير البحري" الذي يبدأ من الصين عبر بحر الصين الجنوبي إلى المحيط الهندي وما وراءه ، وأكدت الخطط على أهمية منطقتين : منطقة جنب شرق آسيا البحرية والشرق الأوسط ، الأول هو ممر مائي رئيسي ، في حين أن الأخير يبرز كحلقة وصل بين الحزام البري والطريق البحري ، وعلى ما يبدو أن هذه المبادرة الجريئة لها جذور في خطة التنمية الغربية العظيمة التي صدرت في أوائل القرن الحادي والعشرين لبناء البنية التحتية للصين في المناطق الداخلية الغربية التي حفزت النمو الاقتصادي في المناطق غير الساحلية المتخلفة في الصين ، والتي تخلفت عن المناطق الأكثر ازدهاراً وحيوية كالمقاطعات الساحلية .

فضلاً عن ذلك ، فأن فكرة "حزام واحد ، طريق واحد" تعود لمفهوم "مسيرة الغرب" الذي صاغه الاكاديمي بجامعة بكين وانغ جيسي في العام 2012 ، أذ جادل بأن الصين بحاجة إلى "إعادة توازن" جيوستراتيجي ، وهذا يتطلب بذل جهود أكبر في تطوير علاقاتها مع جيرانها الغربيين ، مع ذلك ، لم تكن هذه الفكرة دعوة للابتعاد عن المقاطعات الساحلية الشرقية للصين ، بل كانت دعوة لإتباع نهج أكثر توازناً لاستراتيجيات التنمية المحلية والخارجية للصين ، فعندما تنظر بكين إلى الشرق تجد نفسها محاصرة بالقواعد العسكرية الأمريكية في سلاسل الجزر الأولى والثانية ، والبحرية الأمريكية التي تتنافس في البحار القريبة ، وحلفاء أقوياء لاسيما طوكيو وسيول ، على النقيض من ذلك ، فأن النظر إلى الغرب يكشف عن مشهد جيوستراتيجي أكثر انفتاحاً ، على الرغم من الوجود العسكري الأمريكي في آسيا الوسطى خلال العقدين الأول والثاني من القرن الحادي والعشرين ، ألا أن ميزان القوى في هذه المنطقة كان أقل انحرافاً لصالح أمريكا ، فقد طورت بكين علاقات جيدة مع دول أسيا الوسطى وأصبحت المنطقة تدخل بشكل متزايد في المدار الاقتصادي للصين . لاسيما بعد أن شرعت الولايات المتحدة الأمريكية في سحب قواتها العسكرية من أفغانستان ليتزايد بعد ذلك النفوذ الصيني في هذا البلد .

استراتيجية الصين اتجاه بحر الصين الجنوبي

كان موقف بكين السياسي بشأن بحر الصين الجنوبي ثابتاً خلال العقود الماضية ، فلطالما أدعت جمهورية الصين الشعبية السيادة على جميع الجزر والشعاب المرجانية على أساس الوجود التاريخي في المنطقة البحرية ، أذ تتوافق مطالبات جمهورية الصين الشعبية في بحر الصين مع مطالباتها في تايوان ، وفي

الواقع ، فقد ورثت جمهورية الصين الشعبية خريطتها الشهيرة "ذات الخطوط التسع المتقطعة" من جمهورية الصين ، بينما سعت بكين إلى استخدام الوسائل القانونية لتعزيز مطالبها الإقليمية في بحر الصين الجنوبي ، ألا أن الأساس المنطقي لمطالباتهم تاريخي ، وبالفعل وصف أحد الباحثين البارزين في جمهورية الصين الشعبية "Zhu Feng" (مدير مركز جامعة نانجينغ للدراسات التعاونية لجنوب الصين) نهج بكين بأنه يرتكز على "الأصول التاريخية" ويقارن هذا النهج بالنهج الأمريكي الذي يصفه بـ "الأصولية القانونية".

وصفت استراتيجية الصين تجاه بحر الصين الجنوبي لعدة عقود بأشكال مختلفة على أنها استراتيجية "تأخير" أو تأكيد زاحف" أو "نزاع هادئ الكثافة (SLIC)"، في هذا النهج ، تبنت الصين نهجاً تدريجياً طويل الأجل لتحسين مطالباتها بأسلوب بسيط قدر الإمكان ، فمنذ سبعينات القرن الماضي على الأقل أحتلت الصين جزراً وشعاب مرجانية بطريقة انتهازية ، واحياناً بالقوة (على سبيل المثال : جزر باراسيل في عام 1974 ، وجزر سبراتلي في عام 1988) وأحياناً أخرى بدون مقاومة (على سبيل المثال شعاب ميتشيف ريف الواقعة في شرق جزر سبراتلي في عام 1995) ، وكذلك من خلال تقوية قبضتها خلسة على التكوينات التي تحتلها بالفعل من خلال التحصينات والأرصفة والمدارج ، خلال السبعينيات والثمانينيات والتسعينات وخلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ، وكانت الصين ناجحة جداً في تنفيذ استراتيجية (SLIC) هذه بطريقة تتجنب الكثير من الجدل أو المقاومة.

بحلول عام 2010 كانت أنشطة الصين في جنوب الصين بعيدة عن استراتيجية (SLIC) ، بمعنى أن الإجراءات الصينية كانت أكثر حزماً، لذلك كان المطالبون ببحر الصين الجنوبي قلقين بشكل متزايد ومستعدون للرد ، لكنهم كانوا حذرين من مواجهة الصين مباشرة ، سواء بشكل فردي أو جماعي ، لاسيما الفلبين وفيتنام ؛ بسبب اختلال ميزان القوة ، وبدلاً من ذلك ، فضلوا الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لتحدي الصين علناً بشأن هذه المسألة ؛ ونتيجة لذلك ، أصبح بحر الصين الجنوبي قضية خلافية في العلاقات الأمريكية الصينية ، فالصين تنظر إلى خطاب واشنطن الراقي حول التمسك بمبدأ حرية الملاحة كذريعة للتدخل في بحر الصين الجنوبي ، فوفقاً لأحد العلماء الصينيين "أصبحت النزاعات البحرية مصدراً متزايداً لانعدام الأمن في شرق آسيا" ، لأسباب متنوعة و"تزداد تعقيداً بسبب مشاركة أطراف ثالثة" ، ومن الجدير بالملاحظة من منظور صيني "التدخل البارز للولايات المتحدة الأمريكية".

كان رد الصين في عهد شي جين بينغ هو تكثيف أنشطتها في بحر الصين الجنوبي ، فمنذ ديسمبر 2013 شرعت بكين في برنامج ضخم لاستصلاح الأراضي ، أذ تمت أضافة ما مجموعه أكثر من 2900 فدان إلى

سبعة من التكوينات الصينية الثمانية المحتلة في أرخبيل جزر سبراتلي ، فضلاً عن ذلك قدمت سفن إنفاذ القانون البحري لجمهورية الصين الشعبية بقوة الادعاءات الصينية في سلسلة منظمة من مظاهر استعراض القوة ، بما في ذلك ، مضايقة قوارب الصيد وسفن أخرى من الدول المطالبة وطردها ، وحدث أبرز استعراض لقوة جمهورية الصين الشعبية في مايو 2014 عندما شكلت العشرات من قوارب الصيد وسفن خفر السواحل وسبع سفن حربية تابعة للبحرية الصينية حلقة متحدة المركز من الحماية حول منصة النفط (HD-981) 120 ميلاً قبالة سواحل فيتنام ، وتم تنفيذ هذه المناورة عالية التنسيق بشكل جيد وتم تحديد تواريخ بدء انتهاء هذه المناورات ، وواجهت الصين أسطولاً من 30 سفينة فيتنامية ، وكانت الحلقة عرضاً واضحاً للقوة الساحقة للصين .

الأهداف الجيوستر اتيجية للولايات المتحدة الأمريكية

لماذا بحر الصين الجنوبي مهم بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ؟ بصفتها القوة المهيمنة عالمياً ، تحدد الولايات المتحدة مصالحها الوطنية على نطاق عالمي ، عسكرياً ، المصلحة العليا للولايات المتحدة هي الدفاع عن الوطن وحلفاء أمريكا ، أما سياسياً ، تسعى الولايات المتحدة إلى تعزيز الديمقراطية وتقوية حقوق الإنسان حول العالم ؛ ومن الناحية الاقتصادية ، تتطلع الولايات المتحدة إلى حماية التجارة العالمية والأنظمة المالية ، فمنذ نهاية الحرب الباردة ، كانت الولايات المتحدة القوة البحرية المهيمنة في العالم ، حتى وقت قريب جداً ، أذ كانت الطائرات والسفن البحرية الأمريكية قادرة على العمل في الجو والمياه وفي أي مكان في العالم تقريباً دون خوف من مواجهة تحديات خطيرة ، وبالتالي فأن واشنطن مهتمة بكل ركن من أركان العالم واعتادت على التمتع بدرجة ملحوظة من حرية التصرف في المياه الدولية والمجال الجوي .

وليس من المستغرب أن العديد من البحريين الأمريكيون ماهانيون ، فهم يؤمنون إيماناً راسخاً بأولوية القوة البحرية ، وأهمية التركيز على "قيادة البحر" ، الأمر الذي يعكس التأثير الدائم لماهان على الاستراتيجيين البحريين الأمريكيين .

كان المجال البحري في منطقة آسيا والمحيط الهادئ مهماً بشكل خاص ، وفي عام 2015 ، أصدرت وزارة الدفاع الأمريكية استراتيجية الأمن البحري لمنطقة آسيا والمحيط الهادئ والتي ركزت في أجزاء رئيسية منها على بحر الصين الجنوبي ، ولعقود من الزمان ، أجرت الولايات المتحدة الأمريكية علاقة تجارة مع آسيا أكثر مما أجرته مع أوروبا ، فاليوم تمتد العديد من طرقها التجارية عبر المحيط الهادئ ، وقد تبنت الولايات المتحدة شبكة من اتفاقيات التجارة الحرة ، وبعد انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية وصعود الديمقراطيات

الجديدة ، تحول الاهتمام السياسي من أوروبا إلى آسيا ، وانتقلت ساحة المعركة لشن حرب الأفكار إلى أسيا أذ أصبحت البلدان بما في ذلك كوريا الشمالية ومواينمار بؤرة الاهتمام لانتهاكات حقوق الإنسان على نطاق واسع . علاوة على ذلك ، خطت الديمقراطية خطوات مهمة في تسعينيات القرن الـ20 ، فقد ظهرت في تايلاند وإندونيسيا ، وفي الآونة الأخيرة ، خطت ماينمار خطوة كبيرة في التحول الديمقراطي ، بينما عانت تايلاند من نكسة ، وفي مجال الدفاع ، سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقوية علاقاتها مع حلفائها ، وتوسيع العلاقات الأمنية مع الديمقراطيات الأخرى في المنطقة لاسيما الهند ، وتحويل المزيد من الموارد إلى منطقة آسيا المحيط الهادئ .

أن "إعادة التوازن" أو "المحاور" التي تم الترويج لها في المنطقة والتي أعلنت عنها إدارة الرئيس باراك أوباما تشير إلى أن الولايات المتحدة كانت عازمة على تركيز المزيد من الاهتمام في منطقة آسيا والمحيط الهادئ ، ومع ذلك فأن الرئيس دونالد ترامب يحاول منذ توليه منصبه في يناير 2017 إعادة التفكير في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه المنطقة ، لكنه كان منشغلاً خلال عامه الأول بالأحداث في شبه الجزيرة الكورية ، وأنتقد ترامب كرئيس منتخب علناً تصرفات الصين في بحر الصين الجنوبي في تغريدة نشرها في ديسمبر 2016 ، علاوة على ذلك ، أشار وزير الخارجية ريكس تيلرسن إلى أنه يفضل الرد الأمريكي القاسي على الصين في بحر الصين الجنوبي خلال جلسات الاستماع في يناير/ كانون الثاني 2017 ، كما تحدث كبار المسؤولين في وزارة الدفاع بعبارة متشددة حول الرد على الإجراءات الصينية في بحر الصين الجنوبي ، وأدان وزير الدفاع "جيمس ماتيس" في حديثه أثناء حوار شانغريلا في يونيو 2017 / سنغافورة "تجاهل الصين للقانون الدولي وازدراءها لمصالح الدول الأخرى" في بحر الصين الجنوبي ، وخلال الشهادة العامة لعام 2016 أمام الكونغرس الأمريكي ، كان الأدميرال هاري هاريس (قائد قيادة المحيط الهادئ) فظاً بشكل ملحوظ ، ووصف الإجراءات الصينية في بحر الصين الجنوبي بأنها "استفزازية وتوسعية" ، وأصر على أن الهدف هو "بناء سور عظيم من الرمال" في محاولة جريئة للسيطرة على المياه المتنازع عليها .

البحار، وليس الممرات البحرية (SLOCs)

أن الاهتمام الكبير بـ "نقاط الاختناق" ، و"خطوط الاتصال البحرية (SLOCs)" لا يؤدي إلى إخفاء حقيقة أن المسطحات المائية مهمة ، وأن لم تكن أكثر من المضايق الضيقة وممرات الشحن المستقيمة ، وأكد مايكل ويلسي على أهمية الخلجان ولفت الانتباه إلى ثلاث خلجان في المحيطين الهندي والهادئ : بحر

العرب وخليج البنغال وبحر الصين الجنوبي ، الكثير من الضجيج يحيط بـ "معضلة ملقا" المزعومة لبكين وهوس واشنطن المزعوم بـ "حماية الممرات البحرية".

لكن في الحقيقة ومن وجهة نظر جيوستراتيجية أوسع ، فأن ما يهم أكثر هو السيطرة على البحار ، على وجه التحديد ، الجهود المبذولة للسيطرة على المسطحات المائية من قبل دولة واحدة أو على الأقل الجهود المبذولة لرفض أو تقييد الوصول إلى دول أخرى . لقد قيل الكثير عن تركيز الاستراتيجيين الصينيين على سلسلتين من سلاسل الجزر ، لكن هذه مجرد علامات حدودية – فهي ليست أهدافاً عسكرية في حد ذاتها يتم الاستيلاء عليها واحتلالها وتحصينها ، هدف بكين هو حرمان المياه داخل سلاسل الجزر هذه من المنصات الجوية والبحرية لقوة خارجية ، وبالتالي ، فأن هذه الجزر ليست أسواراً يجب الدفاع عنها ولكنها معالم جغرافية تحدد الامتدادات الخارجية للمجال البحري المطلوب في الصين ، باختصار ، تسعى الصين إلى احتفاظ السفن السطحية والغواصات والطائرات الأمريكية بالمخاطر المتزايدة التي تعمل فوق ما تسميه بكين البحار القريبة .

وبالمثل ، فإن الولايات المتحدة مهتمة بالقدرة على العمل بحرية في غرب المحيط الهادئ أكثر من اهتمامها باحتلال جزر معينة أو السيطرة على مضائق معينة ، ومن أهم أهداف وزارة الدفاع المعلنة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ "حماية حرية البحار" بما في ذلك "استخدامات البحر في المجال الجوي ...... للسفن والطائرات العسكرية" ، لذلك يركز البنتاغون بشكل أكبر على كيفية مواجهة قدرات A2/AD المحسنة لجيش التحرير الشعبي الصيني داخل البحار القريبة أكثر مما يركز على مواقع أرخبيلية معينة أو نقاط اختناق ساحلية .

استراتيجية الولايات المتحدة في بحر الصين الجنوبي

يمكن وصف نهج واشنطن تجاه بحر الصين الجنوبي بأنه ثابت من حيث المبدأ ومرن إلى حد ما في الممارسة ، بالطبع هذا التوصيف ينطبق كثيراً على سياسات بكين في مختلف القضايا ، في هذه القضية ، فأن الولايات المتحدة مصرة على مسألة حرية الملاحة وأولوية حماية المشاعات البحرية العالمية ، والمبدأ الأسمى الذي تؤديه الولايات المتحدة والديمقراطيات الليبرالية الأخرى هو "حرية البحار" المنصوص عليها في الوثائق الرئيسية مثل اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار التي تنص في المادة 87 على أن "أعالي البحار مفتوحة لجميع الدول سواء كانت ساحلية أو غير ساحلية" ، ومع ذلك ، تميل الولايات المتحدة الأمريكية إلى التأكيد على مجموعات فرعية من "حرية البحار"، أي "حرية الملاحة" و"حرية الطيران"، كما سعت

الولايات المتحدة باستمرار إلى أتخاذ مواقف محايدة بشأن المطالبات المتنافسة للدول المتنافسة في بحر الصين الجنوبي ، لكن واشنطن تصر على الالتزام بالقانون الدولي ، والمفارقة الملحوظة هي أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تصدق على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار ، ومع ذلك ، من وجهة نظر بكين ، يبدو أن واشنطن منحازة ضد الصين وتتدخل في منطقة بحرية بعيدة كل البعد عن المصالح الجيوستراتيجية للولايات المتحدة ، علاوة على ذلك ، يبدو أن عمليات حرية الملاحة البارزة المعروفة باسم (FONOPS) التي أجرتها البحرية الأمريكية في بحر الصين الجنوبي من منظور صيني تهدف إلى إذلال الصين علناً .

رسمياً تقوم البحرية الأمريكية بتنفيذ عمليات FONOPS في المياه الدولية حول العالم من أجل "إظهار عدم الموافقة على المطالبات البحرية المفرطة التي تؤكدها الدول الساحلية" ، علاوة على ذلك ، فأن البرنامج الأمريكي طويل الأمد للدفاع عن مبدأ حرية الملاحة لا يشمل فقط "الأنشطة العملياتية من قبل القوات العسكرية الأمريكية" ، ولكن أيضاً "المشاورات والتمثيلات مثل الدبلوماسيين الأمريكيين"، ويتمثل تفسير الولايات المتحدة لاتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار هو أن السفن العسكرية يمكن أن تعمل دون عوائق في المياه الدولية ، وهذا يعني في أي مكان خارج حدود 12 ميلاً بحرياً من المياه الإقليمية للبلد ، في المقابل تصر الصين على أن أي دولة لديها حقوق إضافية داخل منطقتها الاقتصادية الخالصة لرفض مرور السفن العسكرية لدولة أخرى ما لم يتم منح الإذن .

تشارك الولايات المتحدة أيضاً في مبادرات أخرى أقل بروزاً فيما يتعلق ببحر الصين الجنوبي ، ومن بينها الجهود المبذولة للتنسيق مع البلدان الأخرى (المطالبين وغير المطالبين) لتطبيق القرار الشامل لمحكمة التحكيم الدائمة الصادر في يوليو 2016 ، وكان الحكم بمثابة رفض كامل لمطالبات الصين وإجراءاتها في البحر ، أذ قضت محكمة التحكيم الدائمة بأن مطالبات الصين الكاسحة ببحر الصين الجنوبي "تتعارض مع الاتفاقية وليس لها بُعداً قانونياً" ، ورحبت الولايات المتحدة وعدد من الدول الأخرى بالحكم ودعت جميع الدول إلى الالتزام بالقرار ، في غضون ذلك ، نددت بكين بالقرار وأصرت على أن الصين لا تعترف بالحكم ، وبالتالي ليس واضحاً ما إذا كان حكم محكمة التحكيم الدائمة سيثبت أنه علامة بارزة ونقطة تحول في نزاع بحر الصين الجنوبي ، أو أنه في طريقه إلى أن يصبح حاشية رائعة للغاية في مقالات مجلات القانون الدولي .

التحليلات

يسعى كل جانب على الأقل إلى إدارة قضية بحر الصين الجنوبي بشكل مثالي ، لإقناع الجانب الآخر بالتنازل أو على الأقل أيجاد حل وسط ، مع ذلك يشير التحليل الجيوسياسي إلى أن مستقبل بحر الصين الجنوبي من المرجح أن يكون متقلباً ، وأن احتمالية حدوث تصعيد غير مقصود أكبر مما كان متوقعاً .

ما الذي يحمله المستقبل للمنافسة الجيوستراتيجية بين الولايات المتحدة لأمريكية والصين في بحر الصين الجنوبي؟ من ناحية من غير المحتمل أن يتراجع أي من الجانبين عن موقعه على هذا البحر شبه المغلق ، ومن ناحية أخرى ، لا يرغب أي من الطرفين في حالة من التوترات المتزايدة في العلاقات الثنائية ، ناهيك عن الصراع العسكري المباشر ، هذا الوضع يضمن استمرار الغليان البطيء في بحر الصين الجنوبي ، ولكن بعيداً عن ذلك ، هناك احتمال حقيقي لزيادة التنافس بين القوى العظمى وحتى التصعيد المحتمل للحرب بين الدول ، تشير ثلاثة عوامل على الأقل إلى سبب هام للقلق : وجود تنافسات إقليمية متعددة ومتداخلة بين الدول ، وظهور متغير الاستقرار وعدم الاستقرار، والمعضلة الأمنية المتزايدة .

أولاً : التنافس الجيوسياسي بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية معقد بسبب وجود التنافس الإقليمي الذي يلعب فيه بحر الصين الجنوبي دوراً أساسياً أو ثانوياً (الشكل 1) ، وبالتالي فإن التنافس بين اليابان والصين وبين الهند والصين ينطوي أيضاً على المواقف والمنافسة على هذا البحر ، فضلاً عن ذلك هناك منافسة بين العديد من دول جنوب شرق آسيا وبين هذه الدول والصين ، بما في ذلك حلفاء وشركاء الولايات المتحدة الأمريكية .

يمكن لهذه الأطراف الثالثة (التي تشمل حليف الولايات المتحدة وهي "الفلبين" ، وشريكتها الأمنية "تايوان") إما تخفيف حدة الصراع أو تفاقم التوترات في بحر الصين الجنوبي وتنتقل إلى توترات متصاعدة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين .

ثانياً : يبدو أن هناك متغيراً غير نووي لمفارقة الاستقرار وعدم الاستقرار يلعب دوراً في بحر الصين الجنوبي ، في أوائل القرن الحادي والعشرين ، حيث يميل كل جانب إلى الشعور بالجرأة لإظهار العزيمة القوية وغير مقيد بشكل ملحوظ لممارسة الحزم بسبب ذلك نرى أن احتمال التصعيد ضئيل ، بعبارة أخرى ، نظراً لأن كلاً من بكين وواشنطن حسب ما يبدو أنهما يدركان أن الصراع التقليدي الشامل بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية سيكون له عواقب وخيمة ومدمرة على اقتصادهما ، فإن كل منهما يرى أن لجوء الطرف الآخر إلى الحرب أمر غير منطقي وبالتالي إلى حد كبير غير محتمل .

نتيجة ذلك ، هو أن كلا الجانبين يشعر بالجرأة للإشارة بقوة إلى التزامهما بالمسائل المبدئية ، ومع ذلك ، يؤكد بعض المحللين أن احتمال نشوب صراع عسكري بين الولايات المتحدة والصين ليس ضئيلاً ويتضمن شبح ما يسمونه "الدمار الاقتصادي المؤكد المتبادل" ، وبالطبع كانت الحالة النموذجية لمفارقة الاستقرار وعدم الاستقرار هي المواجهة في الحرب الباردة بين القوى العظمى المسلحة نووياً (الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي) .

قد تكون مفارقة الاستقرار وعدم الاستقرار أكثر حدة في حالة الولايات المتحدة والصين ؛ بسبب الافتراضات الخطيرة التي يتبناها أحد الخصمين أو كلاهما ، بادئ ذي بدء ، يثق القادة الأمريكيون والصينيون أكثر من اللازم بقدراتهم على إدارة الأزمات ، وينظر العديد من الأمريكيين إلى الحل التفاوضي السلمي لأزمة EP-3 لعام 2001 كدليل على أن حوادث مماثلة تنطوي على خسائر في الأرواح يمكن حلها بدون تصعيد ، لكن حادثة EP-3 ليست حالة جيدة للتعميم ، لأنها تكاد تكون فريدة من نوعها في عدة أبعاد رئيسية : كان هناك ضغط زمني ضئيل ، وكانت الصين تحمل الورقة الرابحة ، كما لم يكن هناك أحساس كبير بالإلحاح في بكين أو واشنطن ، وكانت الصين في مقعد السائق : لقد قامت الطائرة الأمريكية المتضررة بهبوط اضطراري في أحد المطارات الجوية لجيش التحرير الشعبي في جزيرة هاينان ، وأصبح الطاقم الجوي المحتجز رهائن بحكم الواقع ، فقد كانت بكين غاضبة من وفاة طيار مقاتل صيني عندما اصطدمت طائرته بطائرة استطلاع أكبر تابعة للبحرية الأمريكية في المجال الجوي الدولي فوق بحر الصين الجنوبي على بعد 70 ميلاً تقريباً من هاينان ، بينما كانت واشنطن حريصة على عودة 24 جندياً وامرأة في الخدمة - الطائرة - لم يكن الطاقم في خطر وشيك ، لذا كان بإمكان واشنطن التحلي بالصبر ، مع ترف الوقت وقلة خطر التصعيد غير المقصود ، يمكن أن تظل بكين مصرة على مطالبة واشنطن بإصدار اعتذار علني ويمكن للولايات المتحدة أن تقاوم الطلب الصيني الشامل ، وبعد عشرة أيام من الاصطدام ، أصدرت سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بيان ندم شديد اللهجة وأطلقت الصين سراح الطاقم في اليوم التالي ، وبعد ثلاثة أشهر ، وتحديداً في يوليو 2001 ، بعد مزيد من المفاوضات ، تم تفكيك الطائرة الأمريكية وأعادتها إلى الولايات المتحدة على متن طائرة شحن روسية .

بينما يعترف المحللون الصينيون بسهولة أن بكين لم تتعامل مع أزمة عام 2001 بشكل جيد ، ويعتقد القادة الصينيون أن قدراتهم في إدارة الأزمات قد تحسنت بشكل كبير منذ ذلك الحين بسبب البحث والتحليل المكثف حول هذا الموضوع مما أدى إلى إنتاج إجراءات وآليات جديدة ، بما في ذلك لجنة الأمن

القومي ، على غرار لجنة الأمن القومي الأمريكي والذي عقد أول اجتماع رسمي له في العام 2014 ، ومع ذلك ، لا يوجد سبب وجيه للاعتقاد بحدوث تحسين كبير في قدرة الصين على إدارة الأزمات .

علاوة على ذلك ، تعتقد بكين أنها بارعة في إدارة التصعيد ، أو ما يطلق عليه الصينيون "السيطرة على الحرب"، باختصار يبدو أن القادة العسكريين الصينيين يعتقدون أن بإمكانهم إدارة التصعيد في كل من زمن الحرب ووقت السلم ، وهذا الاعتقاد يعززه المواجهات "الناجحة" ، مثل استعراض بكين الواضح للقوة حول منصة النفط HD-981 في عام 2014 في المياه المتنازع عليها من قبل فيتنام (ذكرناه سابقاً) حادثة يمكن اعتبارها ناجحة لأنها لم تتصاعد إلى نزاع مسلح، وفي الواقع ، وفقاً لأحد المسؤولين في جمهورية الصين الشعبية ، في التعامل مع الدول الصغيرة مثل الفلبين وفيتنام ، "يمكننا (أي الصين) أن نعلمهم درساً ولكن لا نصل إلى الحرب" .

وفي الوقت نفسه ، يبدو أن بعض صانعي السياسة والمحللين الأمريكيين مقتنعون تماماً بأن الولايات المتحدة يجب أن تكون متشددة في صد الإجراءات الصينية في بحر الصين الجنوبي ، وفقاً لأحد المحللين البارزين ، "علينا (أي الولايات المتحدة) أن نكون مستعدين (ليس فقط قادرين ولكن راغبين) لوضع الولايات المتحدة الأمريكية على المحك وتحمل بعض المخاطر" ، وأضاف المحلل أنه إذا كانت الولايات المتحدة "غير مستعدة لتحمل بعض المخاطر" ، فأن "الصينيين لن يأخذوا الولايات المتحدة الأمريكية على محمل الجد".

ثالثاً : أقنع العديد من النخب الصينية أنفسهم بأنهم بارعون في التعامل مع القضايا البحرية بسلام وأنهم يتفهمون المعضلة الأمنية ، بالتأكيد ، نجحت الصين في تجنب حرب كبرى بين الدول منذ عام 1979 ، ويبدو أن الكثيرين في بكين قد أقنعوا أنفسهم بأن الصين كانت بارعة في متابعة مطالبها الإقليمية بشكل تدريجي في الغالب دون مواجهات عالية المخاطر أو اشتباكات مسلحة ، وما لا يبدو أن بكين تدركه هو أن الأداء السابق ليس بالضرورة مؤشراً جيداً للنجاح في المستقبل ، بل على عكس العقود السابقة ، أصبحت الصين الأن أقوى بكثير مقارنة بالدول الأخرى ، لاسيما تلك الموجودة في جنوب شرق آسيا ، ومنذ عام 2010 على الأقل ، ينظر إلى الصين على أنها أكثر حزماً وتهديداً من قبل الدول الأخرى ، ومن ثم ، فأن الإجراءات الصينية في بحر الصين الجنوبي يتم تفسيرها الآن بعبارات أكثر خطورة وتنذر بالخطر ، ولكن كل الدلائل تشير إلى أن بكين لم تدرك هذا التغيير بعد ، وفي الواقع كتب العقيد الكبير في جيش التحرير "تشو بو" مؤخراً في جلوبال تايمز التي يسيطر عليها الحزب الشيوعي الصيني أنه "لا يجد تهديد واقعي بحدوث صراع

ضخم في بحر الصين الجنوبي (لأن) الصين لم تستخدم قوتها العسكرية المتزايدة لإثارة أي نزاعات أو صراعات إقليمية".

أخيراً ، لا الولايات المتحدة ولا الصين جيدتان في فهم المعضلة الأمنية والتعامل معها ، على الرغم من حقيقة أن صانعي السياسة والعلماء في كلا البلدين قد أقروا بوجودها وينبغي معالجتها ، كان التعبير الرسمي الأبرز عن هذا حتى الأن في سبتمبر 2009 عندما حدد نائب وزير الخارجية آنذاك جيمس ب.شتاينبرغ المعضلة الأمنية على أنها مشكلة مركزية في العلاقات الأمريكية الصينية في خطاب ألقاه ، في حين أن قادة الولايات المتحدة غالباً ما يجدون صعوبة في فهم كيفية النظر إلى سياسات الولايات المتحدة وأفعالها من منظور صيني ، إلا أنه من الصعب على القادة الصينيين تقدير كيفية تفسير قادة الدول الأخرى لسياسات وأنشطة جمهورية الصين الشعبية ، وتجد بكين صعوبة خاصة في تطبيق المعضلة الأمنية في مواقف ملموسة لأن الصين ، في أذهان الصينيين ، لا تزال دولة ضعيفة تتعرض للتخويف بشكل روتيني من قبل الأخرين ، باختصار ليس من السهل على قادة جمهورية الصين الشعبية أن يدركوا أن الصين أصبحت الآن دولة قوية ويمكن اعتبار نفسها متنمرة.

استنتاج :

أصبح بحر الصين الجنوبي نقطة وميض مركزية في التنافس بين الولايات المتحدة والصين ، أذ نمت أهمية بحر الصين الجنوبي بالنسبة لبكين وواشنطن ، فقد ظهر في أوائل القرن الحادي والعشرين باعتباره "عقدة رئيسية لسياسات القوة العالمية"، وتبنت الصين نهجاً جيوستراتيجياً لجنوب شرق آسيا وبحر الصين الجنوبي ، وتؤكد الجغرافية السياسية أيضاً على سبب اعتبار منطقة آسيا والمحيط الهادئ مهمة للغاية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، أذ تبنت الولايات المتحدة نهجاً جيوسيتراتيجياً في استراتيجيتها الكبرى في أوائل القرن الحادي والعشرين : وهذا هو السبب في أن إدارة أوباما بدأت باتباع استراتيجية "المحور" أو "أعادة التوازن" في منطقة آسيا والمحيط الهادئ ، بينما لا يزال من غير الواضح ما هي السياسة التي ستتبناها إدارة ترامب ، فمن المرجح أن تكون واشنطن ملزمة بالرد على الحقائق الجيوسياسية ومن المرجح أن تتبع نهجاً متشدداً تجاه بكين في بحر الصين الجنوبي.

تعد الولايات المتحدة والصين متنافسان جيوسياسيان ، ومثل عدد كبير من منافسي القوى العظمى من قبلهما ، تلعب بكين وواشنطن هذا التنافس في المجال البحري ، وترغب الصين في وجود بحرية "المياه الزرقاء" وتوسيع قوتها البحرية تدريجياً من المياه الساحلية إلى ما يسمى بسلسلة الجزر الأولى إلى سلسلة

الجزر الثانية وما بعدها ، ويبدو أن واشنطن مصممة على الحفاظ على تفوقها المحيطي في جميع أنحاء العالم ومكانتها كحامي رئيسي للمشاعات العالمية ويبدو أنها تنظر إلى بحر الصين الجنوبي على أنه ساحة مركزية لهذا الصراع ، بينما تطمح بكين جزئياً لذلك ؛ لأنها تنظر إلى المنطقة البحرية على أنها مجال نفوذ الصين الشرعي ، لكن القوة والتصميم مدفوعان بمنطق التنافس الجيوستراتيجي مع الولايات المتحدة